



السكينة

فضيلة الشيخ

هاني مطري



أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم



الحمْد لله وحده وصلى الله وسلم وبارك على النبي المصطفى وآله المستجملين التشرفاً ..

ثم أما بعد ..

فأسأله الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا ... وأن ينفعنا بما علمنا ... وأن يزيّدنا علماً ينفعنا ..

اللهم اجعل ما نقوله وما نسمع حجة لنا لا علينا ..

سبحانك اللهم ربنا وبلادك في كل علم بعد علم ..

سبحانك اللهم ربنا وبلادك في كل عفو بعد عفو ..

ما زال الحديث موصولاً حول ثمرات المعرفة ... وهذه السلسلة المباركة ... سلسلة "تعرف"
وهذا هو اللقاء الثالث ... وسوف نتذكر فيه مقاماً محموداً ومقاماً عظيماً من مقامات الإيمان ...

قال أبو علي الدقاق: " المعرفة تُوجبُ السكينة في القلب، كما أن العلم يُوجبُ السكون فمن ازدادت معرفته
ازدادت سكينته "

لا يوجد أحد في هذا الزمان من لا يعاني من الهموم ومنه عدم راحة البال ... الجميع تجدهم متعطشيه للطمأنينة
والراحة .. الجميع يبحث عن مُلطف يُلطّف به أرباء نفسه لتصفو ... الجميع تراه يهرق كل باب ليستطيع أن يترقّى
في درجات الفلاح ويعلو ..

فإلى الباحثين عن السكينة والطمأنينة ...

تعالوا لتتعرف كيف تتحقق هذه الثمرة العظيمة للمعرفة ... كيف يمكننا أن نحقق سكون القلب بالمعرفة بالله جلّ
وعلا ..

في البداية تجد النبي صلى الله عليه وسلم يبين لنا عظم هذا المقام، كما في الحديث الذي رواه الطبراني وحسنه
الألباني، قال صلى الله عليه وسلم "إن الهدي الصالح والسمت الصالح، جزءٌ من سبعين جزءاً من النبوة" [رواه
الطبراني وحسنه الألباني، صحيح الجامع (1992)]

وفسر أهل العلم هذا السمت الصالح بما يكون عليه حال المؤمن من الهدوء والطمأنينة والسكينة، فهذا من أعلى
سمات السمت الصالح ..

السمت الصالح فيم يتضح ؟

لله في وقاره وفي سكونه، لاسيما سكون القلب بطبيعة الحال الذي يظهر أثره على الجوارح ..

وفي حديث مناجاة موسى الذي رواه الإمام أحمد في كتاب الزهد .. فيه "واعلم أنه لم يتزين لي العباد بزينة هي
أبلغ من الزهد في الدنيا فإنها زينة المتقين ، عليهم منها لباس .. (ما هو لباس التقوى ؟) .. لباسٌ يُعرفون به ألا
وهو: السكينة والخشوع "

لباس التقوى: السكينة والخشوع ، فـ { .. سِيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ .. } .. أولئك أوليائي حقاً .. فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك، وذلل لهم قلبك ولسانك

إذا السكينة ابتداءً هي: السمات الصالح

ثانياً: هي زينة المتقين ولباس التقوى

وكان ابن مسعود والأثر في النهاية لابن الأثير، كان يقول : "السكينة مغنم وتركها مغرم" .. السكينة غنيمة المؤمن، وتركها يوقع الإنسان في مفاصل وفي آفات يترتب عليها أمور عظام ..

تري ابن القيم يتكلم عن هذا في (الفوائد)، فيضع فائدة في معنى قول الله جلّ وعلا {وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ} [الحجر: 21] .. فيقول هذه الآية تتضمن لكثرة من الكنوز (استمع وافهم) ..

كثرة السكينة كيف سيحقق؟

يقول الله جلّ وعلا {وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ} [الحجر: 21]

يقول أنه "متضمن لكثرة من الكنوز، وهو أن كل شيء لا يطلب إلا من عنده خزائنه ومفاتيح تلك الخزائن بيده. وأن طلبه من غيره، طلب ممن ليس عنده ولا يقدر عليه.

وقوله {وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى} [النجم: 42] .. متضمن لكثرة عظيم ..

اجمع معي الكنوز ..

الكنز الأول: {وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ} [الحجر: 21]

الكنز الثاني: {وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى} [النجم: 42]

هذا .. "متضمن لكثرة عظيم، وهو أن كل مراد إن لم يُرد لأجله ويتصل به فهو مضمحلٌ منقطع فإنه ليس إليه المنتهى .."

أيه هي الآخرة ؟ أيه هي نهاية الطريق ؟

ستتعلق بسبب، وهذا السبب .. سرّ معي حتى نهايته، ستجد في نهاية الأمر أن لحظة الختام، والخط الفاصل النهائي سينتهي عنده سبحانه وتعالى ..

"فإنه ليس إليه المنتهى وليس المنتهى إلا إلى الذي انتهت إليه الأمور كلها فانتهدت إلى خلقه ومشيتته وحكمته وعلمه، فهو غاية كل مطلوب، وكل محبوب لا يجب لأجله فمحبه عناء وعذاب. وكل عمل لا يُراد لأجله، فهو ضائع وباطل. وكل قلب لا يصل إليه، فهو شقي محبوب عن سعادته وفلاحه،

فاجتمع ما يراد منه كله في قوله: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ...} [الحجر: 21]

واجتمع ما يراد له كله في قوله: {وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ} [النجم: 42]

فليس وراءه سبحانه غاية تطلب وليس دونه غاية إليها المنتهى

"وتحت هذا سرّ عظيم من أسرار التوحيد"

☪ ها هو سلوك القلب وهذه هي السكينة

"وهو: أن القلب لا يستقر ولا يطمئن ويسكن إلا بالوصول إليه، وكل ما سواه مما يُحبُّ فمراءٌ لغيره. وليس المراد المحبوب لذاته إلا واحد إليه المنتهى .."

إذاً كل ما تُفني قلبك عليه، وكل ما أنت مشغول بهم .. كله إلى زوال وكله لن يؤدي إلى الغاية؛ لأن المنتهى عنده وحده سبحانه وتعالى، ولأن الخزائن كلها بيده وحده سبحانه ..

إذاً .. إذا كنت مشغولاً برزق فعنده الخزائن، وإذا كنت مشغولاً بالمستقبل فإليه المنتهى ..

فله إذن سلوك القلب إلا بهذه المعرفة

هل عرفتم من أين المعنى الذي ندور حوله اليوم؟ وسنظل طوال الجلسة نتحدث عن هذا المعنى وتحقيقه .. كيف يكون السكون؟ وفيم تتحقق السكينة؟ وفيم ذكرها القرآن؟ وما هي المواضع التي لا بد أن نسكن فيها ونحقق معنى أدب السكينة فيها؟ وفيما نتحرّرها؟ .. كل ذلك لنصل إلى هذا المعنى الإجمالي الذي يُشير إليه ابن القيم هنا ..

المعرفة سنحقق شيئان:**المعرفة الأولى: بأن الخزائن بيده ..****المعرفة الثانية: بأن إليه المنتهى ..**

بذلك يستقر ويطمئن ويسكن القلب، بغيره يتشتت ويتعذب بحب سواه، بالذل والخضوع لسواه، بالتعلق بسواه

.. فستعيش في غمرات هذه الآفات من التعلقات الكاذبة والتشتت في الدنيا وفنائها

يقول : "ويستحيل أن يكون المنتهى إلى اثنين كما يستحيل أن يكون ابتداء المخلوقات من اثنين، فمن كان انتهاء

محبه ورغبته وإرادته وطاعته إلى غيره بطل عليه ذلك" .. لا يصح أن تعطي قلبك لاثنتين،

{مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ..} [الأحزاب: 4]

لن يجدي أن يكون الأمر هنا وهنا، أن تُشتت قلبك في اتجاهين مختلفين ..

فلذلك يقول : "فمن كان انتهاء محبه ورغبته وإرادته وطاعته إلى غيره، بطل عليه ذلك وزال عنه ، وفارقه

أحوج ما كان إليه. ومن كان انتهاء محبه ورغبته ورهبته وطلبه هو سبحانه، ظفر بنعمه ولذة القرب منه وبهجة

ذلك وسعادة ذلك أبد الآباد"

فيقول : (هذا هو المعنى الثاني نريد أن ننتبه له في معنى السكينة، الذي يلفت ابن القيم النظر إليه)

"فالعبد دائماً مُتقلب بين أحكام الأوامر وأحكام النوازل، فهو مُحتاج بل مضطر إلى العون عند الأوامر وإلى

اللفظ عند النوازل .."

استمع مرة ثانية : أنت مطلوب منك شيء ويقع عليك أثر للقدر ، تنزل بك نازلة وفي نفس الوقت مطلوب

منك أمر شرعي مُكلف به .. الأمر المطلوب منك الذي تحتاج إليه هو العون فتحتاج أن تستعين، والأمر الذي

يقع عليك أنت تحتاج اللطف فيه .. واسمعوا في معنى هذا اللطف فائدة في الحاشية ..

الأولى : انظر إلى قول الله تعالى في سورة الشورى .. يقول الله جلّ وعلا {اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ

يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ} [الشورى: 19] .. بعد أن ذكر الإشفاق من الساعة ومن أهوالها، كان الخطاب فيه شيء

من الزجر، فقال {اللَّهُ لَطِيفٌ ..} .. وجدت عند الألوسي معنى رقيق، يقول : "اللطيف هو الذي يلطف بعباده يوم القيامة فينسيهم الذنب؛ حتى لا يتحسروا" .. أتعرف ما معنى هذا ؟ .. أي أن تقف أمامه ويقول: يا عبدي فعلت كذا يوم كذا، فتقول له : نعم ، فينتهي الموقف .. في الأصل حينما تقول له ذلك، ستتحسر وتكون في قمة الحجل، لكنه سيقرر فقط .. بدلاً من أن ينفطر قلبك وأنت ترى .. {وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ..} [الكهف:49]

﴿ اللطيف: يستر على عبده فيلطف بهم، فينسيهم الذنب حتى لا يتحسروا ..

فهذا معنى عالي جداً، يحتاج تأمل عالي جداً .. انظر الآية: {اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ} [الشورى:19]

ما الذي أتى بصفة الجلال مع هذا اللام الجميل الرقيق؟؟

رزق ولطف .. فهذه هي القاعدة:

﴿ تضاعف ما استطعت؛ فإد اللطف مع الضعف أنك ﴾

لأنه قويّ حقها ذل، إذا ذل وضعف يُحقق اللطف ..

إذا عند النوازل أنت تحتاج إلى اللطف، واللطف يحتاج إلى ضعف وذل ، أظهر له ضعفك وأظهر له ذلك ..

يقول: "وعلى قدر قيامه بالأوامر يحصل له من اللطف عند النوازل"

أنتبهون للربط ؟ .. يقول : لدينا أوامر ولدينا نوازل، أنت عليك أن تستعين حال الأوامر، إذا عملت سيلطف بك عند النوازل ..

"فعلى قدر قيامه بالأوامر يحصل له من اللطف عند النوازل، فإن كَمَلَ القيام بالأوامر ظاهراً وباطناً ناله اللطف ظاهراً وباطناً"

والشاهد على ذلك من القرآن، قوله: {لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِه يَعْمَلُونَ} [الأنبياء:27]

لما ذكر كرامات المتقين وعلو منزلتهم، قال: {لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ ..} [الأنبياء:27] .. على معنى أنه لا اختيار لهم

مع اختياره .. { .. وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ } [الأنبياء: 27] .. قالوا: هذا باتِّباع السُّنَّة في الظاهر، وبالمراقبة في الباطن.
هل فهمتم الثلاثة؟ ..

هذا يبلغكم درجة التقوى العلى ..

(1) ليس لك اختيار مع اختياره

(2) الظاهر .. على إنباع

(3) الباطن .. مراقبة

حققت الثلاثة تُبلِّغ ذلك ..

و هو يقول : "فإن كمل القيام بالأوامر ظاهراً .." .. بماذا؟ بالاتباع .. "وباطناً" .. بماذا؟ بالمراقبة .. "ناله اللطف ظاهراً و باطناً" ..

"وإن قام بصورها دون حقائقها" .. مثل المتزمين في هذا الزمن، يكون محققاً لظاهرها ومُتبع وملتحى ويرتدي كذا ويحافظ على الجماعة ويحضر الدروس ويقرأ في المصحف و... فهو محقق لمعنى تحقيق الأمر في الظاهر .. فيقول: "وإن قام بصورها دون حقائقها وبواطنها، ناله اللطف في الظاهر وقل نصيبه من اللطف في الباطن" .. ولهذا لا يكون عنده السكينة ..

عرفتم الآن يا ملتزموا هذا الزمن لماذا ليس لديكم سكينة مع أنكم مُؤدِّين للأمر في الظاهر؟؟ .. هل وصلت رسالة ابن القيم؟

لماذا ليس لدي هذه السكينة مع أنني أصلي وأذكر وأحافظ على كذا وكذا وكذا؟؟ ..

لكن ليس لدي هذا الهدوء وهذا السلوك، وليس عندي هذه المعاني القلبية من خشوع وإخبات و ...

لهذا ترى الناس عطشى جداً لهذه المعاني المهجورة تماماً في الحياة ..

لماذا تجد الناس مهتمة بصور الأعمال ومهتمة بتقييم الناس على الصور ؟ ..

♥ القصة قصة قلب، قصة باطنه يلطف به اللطيف ♥

يقول : "فإن قلت: وما هو اللطف الباطن؟" .. علمنا ابن القيم فقال :

"هو ما يحصل للقلب عند النوازل من السكينة والطمأنينة وزوال القلق والإضطراب والجزع"

عرفتم ما هو اللطف الباطن؟ هذا هو موضوعنا ..

هل تأيتم السكينة ؟

السكينة هي السمات الصالح .. السكينة هي تلك الغنيمة .. السكينة لباس التقوى .. السكينة هي اللطف الباطن.

عرفتم كيف تتحقق؟

قال: "إذا كنت بين يدي سيدك ذليلاً، له مستكيناً، ناظراً إليه بقلبك، ساكناً إليه بروحك وسرك، قد شغلك مشاهدة لطفه بك عن شدة .."

لو ظللت مشغولاً بمعنى اسمه اللطيف وأنت مبتلى، و مشغول بالطفاه وكرمه وفضله عليك، وقمت له بمقام الذل والانكسار حالة إذ .. فإن هذا يغيبه عن شهود تلك البلايا ..

"فيغيبه عن شهود ذلك معرفته بحسن اختياره له، وأنه عبد محض يجرى عليه سيده بأحكامه فيرضى أو يسخط، فإن رضي نال الرضا وإن سخط فحظه السخط .."

فهذا هو اللطف الباطن ← ثمرة تلك المعاملة الباطنة، يزيد بزيادتها وينقص بنقصانها"

أريد أن أركز على كلمة **المعاملة الباطنة** ..

قال ابن قدامة في (المختصر) وبالتالي هذا كلام الغزالي ومن بعده ابن الجوزي .. يقول: أن علم العلوم هو علم المعاملة، و أن أعظم العلوم ليس هو علم العقيدة المجرد ولا علم الفقه ولا علم الأصول ولا علم اللغة لا سائر هذه العلوم، وإنما أعلى العلوم هو **علم المعاملة** .. لأن كل هذه العلوم تُخَدَّم على هذا المعنى::

كيف تعامل ربك؟

هذه من غير استطراد -لأنها تحتاج درسا كاملا- :

تكوين الحال مع الله .. كيف أكون حال؟

حين تحدثت عن معنى قسوة القلب جاءني طيلة الأسبوع شكاوى الناس .. أحد شكاوى بعض الناس اليوم، وقصة انتكاس مُرّة من دعوة وكذا وكذا ، ويشار إلينا بالبنان وقد حفظنا قدراً من القرآن .. إلى أسفل سافلين.

الشاهد::

كيف استحضرت قلبي؟ كيف أكون هذه المعاملة الباطنة؟ كيف أكون حال؟

قلت:

أول شيء يَكُونُ به الحال هو ← الدعاء ..

الدعاء الذي يكون فيه **مناجاة** وليس طلب .. أنا أقول طلب، لكن الذي يشغل بالي هو شعوري أن الله قريب ..

وأنا أقول له أنا متعب ومُحتاجٌ إليك .. أنا لا أساوي شيئاً بدونك وليس لي ربٌّ سواك، وليس لي إله غيرك، وأنت سيدي ومولاي وقرّة عيني وأنت حبيب قلبي وأنت وأنت ..

حتى استجمعتُ القلب على شهود الرب، و بعدها بدأتُ أشعر بالمعية، وبدأتُ أشعر أنني الآن في جواره وبدأتُ أناجيّه عن قرب ..

إنما الذي يتعامل مع الله عزّ وجلّ عن بُعد، تكون هذه مشكلة دائماً .. هو يعظم تعظيم يظنه هو التعظيم والإجلال المطلوب، لكنه و هو يعظمه -للأسف- تجده يقول لك هذا ربنا .. هو لا يريد ذلك!

إنما حين تشعر أنه قريب منك تماماً، يبدأ يتكوّن الحال من هنا .. تجده يتحدث مع الله، تجده دائم الاستخارة، تجده دائم التواصل وفي نفس الوقت هو يحتاج معها إلى::

الذكر ..

لماذا؟

لأن تكوين الحال يحتاج مني أن أزيل حجاب من الحجب العشرة على القلب، والتي تحدث عنها ابن القيم وهي: **حجاب الغفلة ..** وقد ذكرناها حين تدارسنا هذا المعنى أكثر من مرة، حين ذكرنا هذه الآية:

{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْإِطْعَامِ بَلْ هُمْ أَصْلٌ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (*) وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ..} [الأعراف: 179,180]

إذاً، أعظم سبب من الأسباب التي سيتكون بها الحال، و سيستشعر فيها هذه المعاني، وسيعرف اسم الله الرقيب، اسم الله القريب، السميع البصير واللطيف ..

كيف سيستشعرها؟

سيستشعرها بهذا الاحساس، أن يتفكر في هذه المعاني ويتذكرها ..

C فمعرفة بأسمائه وصفاته ودوام ذكره لها، يَكُونُ الحال ..

فتكون هناك معاملة باطنة .. أنا أشعر بقربه، فقلبي خاشع، قلبي ساجد الآن ..

وإن كانت الجوارح ليست محقة للمعنى .. قلبي ساجد بين يديه؛ لأنه مكسور ومستشعر الآن كأن القلب في صلاة أخرى .. الذي يظل يتعامل بهذه المعاملة ..

كيف يكونها؟ .. بالدعاء والذكر، وبعد ذلك يرتقي لمقام الكلام.

ففي المعنى الأول: استجمع القلب وأضع نفسي في حضرة الرب

وبعد ذلك في المعنى الثاني: يبدأ يحدث نوع من الكلام ..

هذه المرة لست أنا من سيتكلم ، هذه المرة القلب سيسمع، وتأني متزلة التعامل مع القرآن بهذا الشكل .. فنيته في القراءة ليست التدبر للمعاني في حد ذاتها، وإنما سماع القلب لكلام الرب .. ولأن القلب متعطش ومستشعر

بدأ يسمع ، فبدأ يشعر بمعنى آخر تماماً .. فهو يستمع إلى كلام سيده وحبيبه .. كلام ربِّي .. كلام ربِّي .. كلام ربِّي .. فبالقلب هنا يسكن، وهذا هو معنى السكينة الذي أتحدث عنه، وهذه هي المعاملة الباطنة التي نريد أن نصل إليها ..

يسكن القلب هكذا .. { .. أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } [الرعد: 28]

وقال تعالى {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ..} [الإسراء: 82]

وكل هذه المعاني التي ندندن حولها، تتحقق هكذا ..

هناك قراءة غير القراءة التي نقرأها .. نحن نقرأ ورد، ونكمل جزء وجزأين ، صليت بكذا .. ليست

هذه، ليست مثلما أن تظل طول الليل تقول {اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ..} [الشورى: 19] .. وقلبك يكاد يطير من الفرح؛ لأنه قد استشعر معنى اللطف .. {اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ..} .. وظل يستشعر هذه المعاني الجميلة في معنى اللطف ..

فطار القلب وفكَّه أسره، وسكَّنه واطمأنه، وهذا بتلك المعاملة الباطنة ..

هناك درجات أعلى، لكن نجعلها في درس مستقل .. بداية تكوين الحال تبدأ من هنا .. هل فهمتم هذا المعنى؟

إدًا، تعالوا نرى معنى السكينة مع بدايته ..

ما معنى السكينة ؟ ودرجات السكينة في القمّاء ؟ وما وصايا العلماء بها ؟

بعد الصورة الإجمالية التي أعطيتها لكم في الجزء الأول من هذه المحاضرة ..

معنى السكينة لغةً

يقول العلماء أن **السكينة لغةً** هي خلاف الإضطراب والحركة، وهذا المعنى هو بالضبط الذي سندندن حوله .. ألا وهو شعار الساكن دائماً::

{..وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ} [الحجر: 65]

لا يتحرك يمنة ولا يسرة ولا يضطرب فؤاده بل يثبت ويسكن، تجده عند البلايا ثابت راسخ لا يعرف زوغان القلب .. أي أن درسنا اليوم يقول: أريد أن يتحقق فيك معنى::

{ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً .. } [آل عمران: 8]

تريد أن تكون بمنأى عن هذا النوع من الزيغ والانحراف ؟ .. كيف يتحقق هذا المعنى؟؟

يتحقق هنا .. عندما تتنزل هذه السكينة على الواحد منا .. في القرآن، الله جلّ وعلا يقول {..فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ

عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ..} [الفتح: 26]، قالوا : "أنزل الله السكينة، أي: الطمأنينة والوقار، فثبتهم على

الرضا والتسليم" .. لاحظوا ثبتهم، وليس رضاهم وجعلهم مستسلمين ، لا .. هم تلقوا الموضوع ابتداءً برضا

وتسليم، لكن لكي يُكْمَل ويثبت؛ هذا هو الذي جاء من قِبَل الله سبحانه وتعالى ..

وهذا الذي سيفرّق بين مقام السكينة، ومقام الرضا، ومقام التسليم نفسه، ومقام التوكل ..

➤ في البداية أنا أستقبل بمقام الرضا والتسليم والتفويض لأمر الله سبحانه وتعالى، لكن لكي تثبت قدمي في هذا

الميدان أنا أحتاج سَكِينَةً ..

👉 وهذه تكون منحة من قِبَل الله لهذه القلوب الراضية المستسلمة ..

معنى السكينة اصطلاحاً

بعد أن تعرفنا على تفسير العلماء اللغوي، انظروا إلى كلام أهل العلم عندما فسروها اصطلاحاً، يقولوا:

يقول الجوزاني في (التعريفات) "السكينة: هي ما يجده القلب من الطمأنينة عند تزلُّ الغيب"

دائماً تكون هناك فجأة لأمر .. دائماً تكون هناك نازلة من النوازل، فيحدث له شيء من الطمأنينة ..

"وهي نورٌ في القلب يسكن إليه شاهده ويطمنن، وهي زوالٌ للخوف والرعب".

يقول ابن القيم في (المدارج): "هي الطمأنينة والوقار والسكون، الذي يزيله الله في قلب عبده عند اضطرابه من

شدة الخوف، فلا يزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان وقوة اليقين والثبات" ..

❖ هذه ثمرات السكينة:

زيادة الإيمان .. قوة اليقين .. والثبات.

وإذا تناولناهم من أسفل لأعلى .. يكون لدينا

توكل واستسلام وإذعان ورضا ينشأ عنه سكون ينشأ عنه يقين

هل فهمتم كيف تسير المعادلة؟

السكينة طمأنية القلب واستقراره .. أصلها في القلب وتفيض بعد ذلك على الجوارح .. فترى

على جوارح الإنسان المطمئن بذكر الله، أثر السكينة والهدوء والخشوع ..

وهذا كان معنى السكينة لغةً واصطلاحاً.

درجات السكينة

ما هي درجات السكينة؟

درجات السكينة ثلاث:

(1) **سكينة الخشوع .. (2) وسكينة عند المعاملة .. (3) وسكينة توجب الرضا.**

(1) سكينة الخشوع .. هذه التي تنزلت على قلب النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين، سكينة

تكسر القلب فتجعله خاشع .. وهذا الخشوع وهذه السكينة تنشأ عن ماذا؟

يقول الله جلّ وعلا { .. وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ } [البقرة: 45]

هم يا رب الخاشعيه؟

لهم { الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ } [البقرة: 46]

فإذا تحقق هذا المعنى في القلب، يخشع وينكسر ويفوض ويستسلم ويرضى ويعيش هذه المقامات كلها.

(2) السكينة عند المعاملة .. وتحقق بثلاث:

(1) محاسبة النفس .. (2) وملاطفة الخلق .. (3) ومراقبة الحق.

في السكينة عند المعاملة، سيعامل الفرد ثلاثة:

(1) سيعامل ربَّ .. (2) وسيعامل نفسه .. (3) وسيعامل الناس.

أثناء معاملته لنفسه، سيحاسبها .. أثناء معاملته للناس، سيتلطف معهم ، وهذا أثر اسمه اللطيف ..

☪ ألطف بلطف بك.

فيلطف بهم ليعامله الله باللطف، فيكون من أثر ذلك أن يحدث له اللطف الباطني فيسكن ..

(3) مراقبة الحق .. هذه المراقبة كيف تأتي؟ ..

عندما سيكون القلب موصول، وفيه عين البصيرة وسيبصر ← سراقب ..

لذا أثرها .. تأتي من أي شيء؟؟ تأتي من انفتاح عين البصيرة في القلب ، وهذا كيف يحدث؟

عين البصيرة هذه كيف تأتي ؟ .. تأتي بأمور، منها ..

أولاً: يبدأ من تحسُّس القلب .. أن تجعله يعمل، فمثلاً إذا كان لديك -مع الفرق في المثال- لديك نظارة مكبرة لا تستخدمها، بإمكانك أن ترى من خلالها عن بُعد، واضطرت أن تستخدمها لترى شيئاً من خلالها .. وطوال إهمالك لاستخدامها، سيكون مد البصر لديك قليل جداً .. لكن حينما استخدمت العدسة المكبرة، بدأت ترى آفاقاً أوسع وأعلى ..

هذه هي عين القلب، وهي التي لا نستخدمها ونتجاهلها،..

أولاً: تحسس قلبك وأعمل عين البصيرة فيه .. ولكي يتحقق ذلك عندك، لابد أن تنظف العدسة المكبرة لهذا القلب وإلا لن ترى من خلالها .. لا يصح أن تترك عليها غطاءها، وتمسك بها وتتساءل لماذا الدنيا مظلمة؟!

أليس من المفترض أن ترى عن بُعد؟! .. وأنت في الأصل تضع غطاءها ولم تزيل الغطاء ،

هذا الغطاء هو الحجاب الحاجز لك عه النظر،

إذاً، قم بتركيبها وتنظيفها تماماً وضعها وركز حتى تصل وتلتقط، وتبدأ تري ..

هذه هي عينه البصيرة، وهي التي تحقق مراقبة الحق ..

الإنسان عندما يكون عنده عين البصيرة يبدأ يرى، فيستشعر القرب، يستشعر المعاني التي نتحدث عنها ..
فيراقب ويعلم أنه مراقب وكل شيء يُسَجَّل عليه .. وماذا يحدث للقلب ؟

القلب حينه يشعر بالقرب بسكوه،

فمثلاً: أنا أتعامل بشئ من الطيش في غياب ولي أمري، وفور سماعي لصوته بدأت أعدل من تصرفاتي، بدأت أسكن ولا أتحرك هذه التحركات؛ لأن له بداخلي هيبة .. هذا هو ..

القرب يحدث هذه الهيبة .. فيحدث المراقبة .. فيحدث سكوه القلب،

القرب ينشأ عنه هيبة ينشأ عنها مراقبة الحق ينشأ عنها سكوه القلب

(3) سكينه توجب الرضا بما قسم الله عز وجل .. وتمتع من الشطح الفاحش ..

وهذه ستتحقق كآثر من الآثار -ذكرناها قبل قليل- ، أن الله ألقى في قلبه هذا النوع من السكون، فتجده دائماً يتلفظ بمعاني وكلام مثل أحبه إلى .. أحبه إلى ، قدر الله أحب إلي من بصري .. لا يوجد لديه مشكلة في هذا كله؛ لأنه يقرأه بعين البصيرة ، يقرأها بشكل مختلف ..

قرأتها بقلبي، ولم أقرأها بأعيني الناس،

ليس كمن يقول: ماذا حدث لي؟! لماذا يحدث لي كل هذا؟ ولماذا هذا؟ ولماذا هذا؟ .. فهذا يؤدي به إلى الشطح الفاحش ، فهو يشطح أي يستخدم معنى الشطح في هذا الالتفات وفي هذا الاعوجاج ، وفي التفاتات القلب تلك .. بينما الساكن تجده يقف مطأطئ الرأس وهادئ وليس لديه مشكلة

نفس الكلام الذي ذكرناه حينما تحدثنا عن محن الرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكرنا كلام بن الجوزي في الصيد وهو يقول : الرسول صلى الله عليه وسلم يحدث له كذا وكذا وتطلق بناته ويوضع عليه سلا الجذور، وهو ساكن هادئ راضى بما يعامله به مولاة ، هذا هو سكون المعاملة الذي نتحدث عنه ..

سكون يوجب الرضا بما قسم الله عز وجل، ويمنع منه الشطح،،

هذه درجات السكينة الثلاث ..

ورود السكينة في القرآن ..

لماذا السكينة في القرآن؟ .. لتلك الفائدة الذهبية التي سيذكرها لنا ابن القيم ..

ذكرت في القرآن في ستة مواضع::

يقول ابن القيم -وسأقرأ لكم من (المدارج) رأساً- : "وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذا اشتدت عليه الأمور قرأ آيات السكينة، وسمعته يقول في واقعة عظيمة جرت له في مرضه تعجز العقول والقوى عن حملها، من محاربة أرواح شيطانية ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوة .."

وهذا الكلام لكي نريح من يقول أننا مسحورين وملبوسين، وأن هناك من يسحر للأخوة .. يقول: شيخ الإسلام أنه جاءته في آخر عمره نوع من المقاومة الشديدة لهذه الأمور، من محاربة أرواح شيطانية ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوة ..

قال : "فلما اشتد عليَّ الأمر، قلت لأقاربي ومن حولي: اقرأوا آيات السكينة"

قال : "ثم أقلع عني ذلك الحال وجلست وما بي قَلْبَةٌ" .. أي: لم يحدث لي أي مشكلة ..

ويقول ابن القيم : "وقد جربت أنا أيضاً قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب مما يرد عليه، فرأيت لها تأثيراً

عظيماً في سكونه وطمأنينته " اهـ - كلام ابن القيم رحمه الله من مدارج السالكين _ منزلة السكينة (2 / 502)

وقبل أن أتحدث .. لأن الأخوة سيقولون هذا كلام ابن القيم في المدارج، وهم رجال ونحن رجال، و ابن القيم يخطيء ويصيب، ليس لدينا مشكلة ، ولكن المعاني التي يتحدث فيها الأخوة نتفق معها كأصول، لكن في التطبيق

نفهم عن الرجل ونلتمس له حتى ولو عذر ..

أولاً: هل قام شيخ الإسلام اليوم بعمل رسالة قال فيها ورد الطائفة التيمية بقراءة آيات السكينة عند اضطراب القلب خمس مرات وعشرين مرة حتى يحدث كذا؟! أم أن هذا يندرج تحت أصل عام قد ذكرنا تَوّاً .. {وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ..} [الإسراء: 82]

إِذَا، الْقَمَانُ فِيهِ شِفَاءٌ ..

ثانياً: نحن إن قلنا على معنى الرقية الشرعية .. "اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك" [رواه مسلم] .. لا تكون هناك مشكلة، ونأتي لمن يرقى في أمراض القلوب وتقولوا عليه مشكلة؟!

عدّوها من باب الرقى، مندرجة تحت أصل عام ومندرجة تحت أصل خاص لكي لا يكون فيها مشكلة.

ثالثاً: أنه في الأمور التجريدية هذه، ما زال الناس يُحدث لهم ذلك أشياء .. أنا عندما أبدأ القراءة في سورة كذا أو كذا أشعر بمعاني لا أشعر بها في سائر السور .. وهذا شأنى أنا .. وأحياناً أنقل تجربتي لغيري فأقول له: دائماً حين أقرأ هذا الورد وهذه الآيات أو أصلي بها، أشعر بكذا ويحدث كذا ..

لعلها تنفعك لكن قد لا تنفع كثيرين، وهذا الذي يفرّق بين البدعة الإضافية وبين سُنيّة الأمر .. أو ما دخل تحت المخالفة أو الخذور الشرعى .. ما الفرق؟

إن النبي صلى الله عليه وسلم ما ترك شيئاً يقربنا إلى الجنة إلا ودّلنا عليه، المعنى هنا أن وصفة شيخ الإسلام لن تنفع كل المسلمين .. وأقولها بملء الفم ، لأنها لو كانت تنفع كل المسلمين لنصّ عليها الأمين صلى الله عليه وسلم، لكنها ستنتفع أناساً أحوالهم قد تكون قريبة من هذا الحال ..

فلاستشفاء بآيات القرآن قد ذكره العلماء، وهذا تأصيل ثالث لها .. وقد ذكرنا أن هجر القرآن على خمس منها: هجر الاستشفاء، ولذلك فإن تأصيلها العلمى مهم قبل أن ندخل في ثنايا المعاني ..

ذكر الله سبحانه السكينة في كتابه، في ستة مواضع:

أولاً: قول الله تعالى في سورة البقرة .. لاحظوا الآيات : ثلاث آيات في سورة الفتح، آيتين في سورة التوبة، آية

في سورة البقرة ..

الآية الأولى .. قوله تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ ..} [البقرة:

248]

وهذه الآية التي اختلف في تفسير معنى السكينة فيها، ورد عن ابن عباس -وتجدوا هذا في القرطبي وغيره - أنه كان يقول: "كل سَكِينَةٌ في القرآن فهي طمأنينة، إلا التي في سورة البقرة" .. على أن بعض المفسرين -واسمعوا مثلاً كلام الشيخ ابن العثيمين وهو يوجه هذه الآية- قال: **التابوت**: (وهو معروف بأنه شئ من الخشب أو العاج يشبه الصندوق) فكان يزل ويصطحبونه معهم، وفيه **السكينة**: يعنى أنه كالشئ الذى يُسَكِّنُهُ ويطمئنون إليه" ..

فعلى هذا التوجيه لا توجد فيها مشكلة، يعنى كأنه شئ كان له هذا الأثر عليهم، فإذا رأوا هذا التابوت كانت تسكن قلوبهم وتنشرح صدورهم .. علي هذا التوجيه فكل الآيات فيها الطمأنينة ..

الآية الثانية: قول الله تعالى في سورة التوبة: {ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا

لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ} [التوبة: 26]

هذا في يوم حنين، في تلك الساعات الحرجة التي قال الله عنها: {.. وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ} [التوبة: 25] .. ثم قال الله {ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ} [التوبة: 26]

الآية الثالثة: الآية الأربعون في سورة التوبة .. عندما اجتمع المشركون على الكيد للنبي صلى الله عليه

وسلم، وكان مكان إديان وقت الهجرة، فلو نظر أحد المشركين إلى ما تحت قدمه في يوم الهجرة لرأى النبي وصاحبه ..

قال الشيخ السعدى "فهما في تلك الحالة الحرجة الشديدة المشقة، حين انتشر الأعداء من كل جانب يطلبونهما ليقتلوهما، فأنزل الله عليهما من نصره ما لم يخطر لهم على بال .. فقال :

{إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنْ إِنَّ اللَّهَ

مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ { [التوبة: 40]

الآية الرابعة: ونبدأ بآيات سورة الفتح الملأى بهذه السكينة من بدايتها .. انظر ثلاث مواضع في سورة الفتح، وكأن من فتح الله عز وجل على عبده أن يتزَّل على قلبه بذلك ، والآية تقول هذا:

{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [الفتح: 4]

ففي يوم الحديبية تزلزلت القلوب من تحكم الكفار فتزلت في تلك اللحظات السكينة، والظاهر -والله أعلم- بأن الحديبية كانت من أشد المواقف التي امتحن فيها المسلمون، ويدل على ذلك اختصاص هذا الموقف بالذكر في ثلاث مواضع بأن تتزل السكينة فيها ..

بالطبع يوم الحديبية وموقف سيدنا عمر أكبر مثال يوضح لنا الاضطراب الذي من الممكن أن يحدث، **لَمْ تُعْطَى الدنية في ديننا ؟ ..** ونحن في هذه الحن منذ عشرين سنة، وجاءتنا اللحظة التي يمكن أن نفتك بهم وننتصر عليهم ويكون لنا الغلبة، وأنت تدهنهم .. أو يظهر له أنه يقوم بمقام الضعيف! .. فيقول: على هذا كانت هذه الحادثة من أشد الحوادث التي أبتلى بها المؤمنون.

الموقف الثاني الذي ذكر الله فيه تتزل السكينة في الحديبية، عندبيعة الرضوان في سورة الفتح الآية 18 ..

قال الله جلَّ وعلا : {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح: 18]

وهذه الآية مفتاح الدرس بأكمله::

☞ { .. فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ .. } ☞

فإذا كان في قلبك جهاز الاستقبال هذا ستتزل السكينة، أما إذا كان قلبك فاسد لا يصلح أن تتزل عليه السكينة سيلتفت ويضل السبيل ..

{لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} [الفتح: 18]

وهذا هو الربط بين معنى السكينة ، ومعنى الفتح في هذه الآية.

بعد ذلك الآية السادسة والعشرين .. وهى الآية السادسة والأخيرة من آيات السكينة ، والثالثة التى ذكر فيها السكينة فى يوم الحديبية ..

قوله تعالى: {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [الفتح: 26]

فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ .. بهذا التعبير يرسم السكينة كأنها تنزل فى هدوء ووقار، تنزل وتوضع فى القلب بمنتهى الهدوء والوقار، لتحدث هذا الأثر، تضيفى على القلوب الحارة المتحمسة المتأهبة المنفعلة برداً وسلاماً وارتياحاً وطمأنينةً .. فإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على أهمية السكينة، وأن بعض المواقف تحتاج إلى تنزل هذه السكينة أكثر من مرة .. فكما رأينا ثلاث مرات وثلاث آيات فى سورة واحدة تتحدث عن نفس الموقف، تنزل فى ثلاثة أنواع من السكينة مختلفة فى ثلاثة مواقف فى حدث واحد .. فهذا يدل على أن بعض المواقف تحتاج إلى تنزل السكينة أكثر من مرة، لأهميتها فى تجاوز ذلك الموقف ، والموقف من وفقه الله

إِذَا، عندما تنزل بك الساعات الحرجة والخطرات الاضطراب، تأمل فى حساسية المواقف التى تنزل عليك، وادعوا الله عز وجل أنه ينزل أثر السكينة فى قلبك لتثبت نفسك ويسلك قلبك، وحالة إذ تخرج من هذه النوازل سالماً معافى محققاً للمعاملة الباطنة، آخذاً اللطف الباطني.

هذه الآيات الست كلها تدور فى معنى واحد وفى فلك واحد .. مواقف صعبة، تنزل السكينة فيها هو من أعظم الأسباب لتثبيت القلب ..

الواجب العملي: حفظ هذه الآيات والتعبد لله عز وجل بتمريرها على القلب وتسكين النفس بها، حتى

نأخذ هذا الأثر.

وما ذكرناه من التجربة العملية لابن القيم وشيخ الإسلام بن تيمية ، هذه ترجع إلى كل واحد منكم أن يتداوى بها أو يستعملها على حسب حالته وعلى حسب استقباله لهذه المعاني.

مواضع تحقيق السكينة

السكينة كما ذكرنا وردت في القرآن في هذه الست مواضع ، وقد طوّلنا في مواضع ، وهذا كما في سنة النبي محمد **صلى الله عليه وسلم** أن نحقق معنى السكينة ، لدينا أكثر من ست أو سبع مواضع نحتاج أن نحقق فيهم السكينة ..

أول هذه المواطن :: الصلاة ..

السكينة تنزل حال الصلاة .. وتحتاج أنت أن تسأل الله عزّ وجلّ هذا ابتداءً، إنك في البداية لابد أن تأخذ في اعتبارك أن تكون ساكناً، لا تلتفت، لا تزوغ عينك، لا ينشغل قلبك بكذا وكذا، لا تذهب إلى الصلاة مهرولاً؛ لأن هذا يسبب عدم الخشوع ولا يجعلك تُحصِل المعنى الأساس في الصلاة .. فإذا حققت هذا وأخذت بالأسباب، تنزل عليك السكينة المطلوبة التي ينبغي أن تجدها أثناء الصلاة ..

فالسكينة تنزل حال الصلاة، فينبغي للعبد أن يحرص عليها ..

بهذا جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال: "إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا" [متفق عليه]

إذاً، نحن لدينا معنى مختلف .. تجد الأخ يريد أن يدرك تكبيرة، الإحرام فيمكن أن يذهب مهرولاً لا مشكلة، وإن دخل في الصلاة وظل ينهج طوال الركعة الأولى لكنه أدرك تكبيرة الإحرام هكذا يهدأ .. لكنه لم يحقق السُّنة ولم يحقق الهدف، نحن للأسف الشديد ظاهريين حتى في معاملة الله عزّ وجلّ ..

النبي **صلى الله عليه وسلم** -وأمره أهم من أي شيء آخر- يقول : "إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون وعليكم السكينة .." لا تجري إلى الصلاة ، سر كعادتك في السير، ويمكن أن تزيد خطورتك شيئاً ما لكن

ليس في هذا ما أرشدنا إليه النبي، فالنبي **صلى الله عليه وسلم** نهي أن يركض الإنسان إلى الصلاة، وأمرنا أن نأتي إلى الصلاة وعلينا هذا المقام العظيم - مقام السكينة - ، لأن العبادة ينبغي أن تتحقق بهدوء وبطمأنينة نفس ..

أما الإنسان الذي يلهث من شدة الركض والعناء، فإنه لا يُقبل على صلاته كما ينبغي ..

لهذا جاء في البخاري من حديث أبي بكرة: أنه انتهى إلى النبي **صلى الله عليه وسلم** وهو راکع، فركع قبل أن

يصل إلى الصف، فذكر ذلك للنبي **صلى الله عليه وسلم**، فقال "زادك الله حرصاً ولا تعد" [صحيح البخاري]

جاء أبي بكرة، والرسول **صلى الله عليه وسلم** راکع، فأسرع وقد حفزه النفس ثم ركع ولحق النبي **صلى الله عليه**

وسلم في الصلاة، فلما سلم النبي **صلى الله عليه وسلم** سأل: من الذي أتى وهو راکع؟، قال: أنا يا رسول الله،

فذكر له الحال فقال له النبي **صلى الله عليه وسلم**: "زادك الله حرصاً ولا تعد" .. لا تعد لمثل هذا، وائت إلى

الصلاة وعليك السكينة والوقار ..

لأنه أحياناً ونحن نحقق المعاني العالية - وهذا للأسف الشديد عندنا في الفكر بشكل عام- يمكن أن تجد بعض

الإخوة مثلاً مجتمعين على معنى تعظيم لقدر الصلاة في أول الوقت وإدراك تكبيرة الإحرام ووو ...، فإذا دخل

أحدهم الصلاة ولم يدرك تكبيرة الإحرام تكون مشكلة .. لماذا ؟ لأنه يريد أن يدخل ويدرك الصلاة وبهذا يكون

أدي الصلاة، وتجد النظرات إليه ومنظره أمام المصلين كيف يأتي متأخراً؟! .. على الرغم من أن آخر من الممكن

أن يكون قد صلى الأربع ركعات وهو شارد الذهن، لكنه حققهم وصلاتهم من تكبيرة الإحرام فالجميع سيشجعه!

الأول من الممكن أن يظل حزيناً على الركعة التي فاتته وينكسر قلبه، هذا لا يصح أبداً .. وليس معنى ذلك أن

نقول للآخر فرط وانكسر، على أساس أن التفريط هو ما سيجلب لك الإنكسار !!، لا هذا ولا ذاك، المهم

قلبك وما يحمله في داخله، هل أنت ذاهب إلى الصلاة لكي تحقق المعنى ؟

ولذلك تشعر بينك وبين نفسك -حتى دون نظر الناس- بمراءة النفس، فتقول لنفسك: اليوم عندي خمس

صلوات وقد صليتهم من الركعة الأولى كنت خاشع أو غافل هذه ليست قصتي، أنا لدي الحديث آخذ بظاهره

"من صلى لله أربعين يوماً في جماعة يدرك التكبيرة الأولى، كتبت له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق" [رواه

الترمذي وحسنه الألباني]

هذا فهم مغلوط، ولن يحدث أن تأخذ براءة من النار وبراءة من النفاق وأنت في الأصل لست خاشع ولا خاضع ولم تحقق أي معنى في قلبك .. إذا أنت واهم ..

هل تدركون المعنى ؟ فالنبي **صلى الله عليه وسلم** أرشده إلى هذا المعنى وقال لا تعد ..

عن عبد الله بن أبي قتادة عن النبي **صلى الله عليه وسلم**، قال "لا تقوموا حتى تروني، وعليكم السكينة" [صحیح البخاري]

معني الحديث: أن جماعة المصلين لا يقومون عند الإقامة إلا حين يرون أن الإمام قام للإمام، أي عندما يقوم يقومون عنده .. المسألة فيها خلاف فقهي ليس محله الآن ، لكن المهم: "وعلیکم السکينة" ، ادخل الصلاة وأنت ساكن ..

إدًا، هذا أول مقام نحقق فيه السكينة .. حال الصلاة

المقام الثاني: حال الحج

لما أفاض النبي **صلى الله عليه وسلم** من عرفة وكان عليه السكينة ، وكان معه ما يزيد علي مائة ألف حاج، فكان يقول " يا أيها الناس عليكم بالسكينة" [رواه البخاري] .. رويدكم .. رويدكم .. كل الناس الآن مقبلة وذهابين إلى مزدلفة، ويوم شاق جدًا على عرفة، والكل يريد أن يجري إلى مزدلفة ليبست بها ويرتاح .. فقال النبي **صلى الله عليه وسلم** "أيها الناس عليكم بالسكينة، عليكم بالسكينة، عليكم بالسكينة" .. فأفاض النبي **صلى الله عليه وسلم**، وأمر أصحابه بالسكينة وبالهدوء الذي يتناسب مع حرمة الحج وحرمة العبادة .. فالسكينة مطلوبة من العبد في كل حال، وينبغي للإنسان أن يحرص عليها في هذه النسك خاصة .. إذا، هذا الأمر الثاني حال الحج.

المقام الثالث: عند تلاوة ومدارسة القرآن

النبي **صلى الله عليه وسلم** كان إذا نزل عليه الوحي تغشته السكينة، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كنت إلى جنب رسول الله **صلى الله عليه وسلم** فغشيته السكينة، فوقع فخذ رسول الله **صلى الله عليه وسلم** على فخذي فما وجدت ثقل شيء أنقل من فخذ رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، ثم سري عنه، فقال "أكتب"،

فكتبت في كتف: { لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ .. وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .. } إلى آخر الآية .. فقام ابن أم مكتوم وكان رجلاً أعمى لما سمع فضيلة الجاهدين، فقال: يا رسول الله فكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين؟، فلما قضى كلامه غشيت رسول الله صلى الله عليه وسلم السكينة، فوقع فخذه على فخذي ووجدت من ثقلها في المرة الثانية كما وجدت في المرة الأولى، ثم سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال "اقرأ يا زيد"، فقرأت: لا يستوي القاعدون من المؤمنين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { .. غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ .. } [النساء: 95] الآية كلها .. قال زيد: فأنزلها الله وحدها فألحقتها والذي نفسي بيده لكأني أنظر إلى ملحقها عند صدع في كتف. [رواه أبو داود وقال الألباني: حسن صحيح، صحيح أبو داود (2507)]

قال الله تعالى { إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا } [الزمل: 5]، كان صلى الله عليه وسلم يتغشاها من شدة الوحي شيء عظيم حتى يتفصّد من جبهته .. أي: يعرق عرقاً شديداً، وإن كان في اليوم الشاتي من ثقل الوحي عليه.

الشاهد: أن السكينة كانت تنزل على النبي صلى الله عليه وسلم عند نزول الملك، كذلك عند قراءة القرآن .. حديث أسيد بن حضير الذي في الصحيحين أبلغ مثال علي ذلك :

"بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة ، وفرسه مربوط عنده ، إذ جالت الفرس ، فسكت فسكت ، فقرأ فجالت الفرس ، فسكت وسكت الفرس ، ثم قرأ فجالت الفرس ، فانصرف ، وكان ابنه يحيى قريباً منها ، فأشفق أن تصيبه ، فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها ، فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (اقرأ يا ابن حضير ، اقرأ يا ابن حضير) . قال : فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى ، وكان منها قريباً ، فرفعت رأسي فانصرفت إليه ، فرفعت رأسي إلى السماء ، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح ، فخرجت حتى لا أراها ، قال : (وتدرى ما ذاك) . قال : لا ، قال : (تلك الملائكة دنت لصوتك ، ولو قرأت لأصاحت ينظر الناس إليها ، لا تتوارى منهم) [صحيح البخاري]

كان أسيد من كبار الأنصار وكان ذات ليلة يصلي صلاة الليل في مربد له فقرأ سورة البقرة - وفي رواية في الصحيحين أنه قرأ سورة الكهف - ، وكان الخيل مربوطة قريبة منه، فقرأ ورفع صوته بالقرآن ، وكان أسيد حسناً جميل الصوت، فجالت الفرس وبدأت تذهب وتقبل وتدبر حتى خشي أن تفك رباطها، وكان ولده يحيى إلى جنبه وكان طفلاً صغيراً ، فخشي عليه من الخيل فسكت عن قراءة القرآن فسكنت الخيل، فعاود القراءة بعد

ذلك فجالت الفرس وبدأت تُقْبِل وتُدْبِر حتى خشي على ولده فسكت، فرفع صوته بالقرآن مرة أخرى، فتحرّكت الخيل هكذا وجالت حتى خشي على ولده فسكت، ثم صلى فرفع رأسه إلى السماء، فإذا مثل الظلة فوق رأسه، وإذا فيها أمثال المصاييح. فلما أصبح غدا على رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، فقال له: يا رسول الله إنه حصل البارحة كذا وكذا، فقال له النبي **صلى الله عليه وسلم**: اقرأ يا ابن حضير اقرأ، قال: فقرأت يا رسول الله، فجالت الخيل حتى خشيت على ولدي يجي فسكت، قال: اقرأ أبا يجي قال: فقرأت يا رسول الله، حتى جالت الفرس، فخشيت على ولدي فسكت، قال: اقرأ أبا يجي، قال: قرأت يا رسول الله حتى خشيت على ولدي فسكت، قال **صلى الله عليه وسلم**: "تلك السكينة -وفي رواية: تلك الملائكة- تنزل لقراءة القرآن ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها، لا تتوارى عنهم".

أي: إن أكملت واستمررت في القراءة، كانت الناس إذا استيقظت ستجد هذه السحابة ويراهها الجميع .. فنزلت السكينة، ونزلت الملائكة لقراءة أسيد بن حُضير رضي الله عنه القرآن .. فهكذا شأن القرآن. إذا، تتزلّ السكينة بذلك .. وعلي هذا ففي هذا الموطن ينبغي أن يكون الإنسان ساكناً ..

ينبغي أن يكون الإنسان حاضراً القلب حال قراءة القرآن،

هناك جزئية يذكرها العلماء تعليقاً على حادثة أسيد، يقولوا ما السبب في نزول الملائكة ؟

قالوا عدة أشياء من باب اللطيفة العلمية ..

السبب الأول قالوا: هو عَظَمَةُ ما قرأ .. بعض الناس قالت أنه قرأ البقرة أو قرأ سورة الكهف ، فأما سورة الكهف فالنبي **صلى الله عليه وسلم** أخبر: أنه من قرأها في جمعة أضاءت له ما بينه وبين الجمعة الأخرى، وأما سورة البقرة فمعلومة أنها هي الزهراء .. التي لا يستطيعها البَطْلَةُ ولا يدخل الشيطان بيتاً يُقرأ فيه هذا ، فهذه أو تلك .. إذا، علي هذا التوجيه من فضائل سورة البقرة والكهف.

السبب الثاني : قالوا: أن القارئ كان يفهم معنى ما يقرأ ويتأثر به ويخشع له .. فكان هذا هو السبب لنزول الملائكة ونزول السكينة. وهذا ما يفيدنا نحن ، لأنه إن كان على هذا التوجيه نجد أنه

﴿ كلما كاد الإنسان أكثّر تدبياً وأكثّر خشوعاً وأكثّر انكساراً، تنزل الرحمة وتنزل السكينة بذلك. ﴾

السبب الثالث: قالوا: أنه كان يرفع صوته بقراءة القرآن .. وكأنه -والله أعلم- كان حسن الصوت بالقرآن، فكما كان أبو موسى الأشعري واستمع رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ليلة إلى قراءته، فأنصت وأعجب بقراءته أيما إعجاب، وقال رسول الله **صلى الله عليه وسلم** لأبي موسى "لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود" [صحيح مسلم] .. **أي: صوتك بالقرآن جميلٌ جميلٌ.. فقال: يا رسول الله، والله لو علمت أنك تسمعي؛ خبرته لك تحبيراً.**

الملائكة تحب سماع القرآن فتلوا لذلك ، هذا توجيه .. لكن طبعاً التوجيه الثاني هو ما يهمنا أو حتي الأول بالاعتناء بهاتين السورتين ..

هكذا أخذنا موطن الصلاة ، وموطن الحج ، وموطن قراءة القرآن.

المقام الرابع: حال الجنائز

الموطن الرابع الذي ينبغي أن نكون فيه ساكنين، وتنتزل فيه السكينة: حال الجنائز .. قال أبو قلابة " **كانوا يعظمون الموت بالسكينة** " .. لأنه عادة يكون وقت هلع، وأناس يبكون، وآخر يصرخ وآخر شارد وآخر يسأل عن مكان المدافن وو ... فيغيب معني التذكُّر في هذه المواطن، فلذلك ينبغي أن يكون الإنسان أهدأ ما يكون في هذه الأوقات ، لا سيما وهو يشيع جنازة أو نحو من هذا، إن كان يريد منها العبرة والعظة لنفسه ، فبالتالي عليكم أن تستنزلوا تلك السكينة بسكونكم حال هذا الوطن.

المقام الخامس: حال الجهاد

خامساً: في الجهاد .. حال الجهاد في سبيل الله كما حدث في يوم الحديبية، وكما ذكرنا في الآيات التي في سورة الفتح، كلها كانت تدور حول معنى الثبات والجلد والصبر؛ حتى يستدفع الإنسان ما يكون في هذه المواطن وهذه الأوقات من همٍّ وقلق يصيب الناس .. وذكرنا قصة سيدنا عمر المشهورة وكيف أن الله عزَّ وجلَّ أنزل السكينة على قلوب المؤمنين وعلي قلب النبي **صلى الله عليه وسلم** في هذا الوطن؛ ليكون في ذلك طمأنينة لهم حتي لا يصيبهم الفرع والقلق والخوف.

فالنبي **صلى الله عليه وسلم** ، والحديث رواه أبو داود عن سمرة أنه قال : " **سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلنا** - في الجهاد - **خيّل الله** " لماذا؟ .. لأنها الخيل التي أوقفت في القتال في سبيل الله، وحملت المجاهدين الصابرين الذابيين عن حوزة الإسلام ، " وكان يأمرنا إذا فزعنا بالجماعة والصبر والسكينة " [رواه أبو داود وضعفه الألباني] .. فهذا أمرٌ من قِبَل النبي **صلى الله عليه وسلم** بأن يتحلّى الإنسان بهذا،

أولاً: الجماعة فلا يشرد، وثانياً: تحقيق مقام الصبر والسكينة ،

وكان أصحاب رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، إذا كانوا في حال المعارك يرتجزون بالشعر، يسألون الله تعالى أن ينزل عليهم السكينة، وكان الرسول **صلى الله عليه وسلم** يجيبهم:

"والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينةً علينا وثبّت الأقدام إن لاقينا

إن الأولى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا"

فكان النبي **صلى الله عليه وسلم** يردد وراءهم : " أبينا أبينا " [متفق عليه] .. صلّ الله علي النبي محمد **صلى الله عليه وسلم** ..

فهكذا نكون السكينة حال المقام ، مقام الجهاد في سبيل الله،،

المقام السادس: عند القيام بمقام العبودية ..

مقام من مقامات العبودية .. ذكرنا أن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال " .. وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده .. " [رواه مسلم]

فقالوا: إن السكينة تنزل على أتباع الأنبياء، هذه السكينة تنزل عليهم عند القيام بوظائف العبودية بشكل عام لذلك ختمنا بتحقيق معنى من معاني العبودية سواء: في الذكر، في الصلاة، في الصيام، في النسك ، في سائر هذه الأمور ..

إذا كان العبد قائماً لله بمقام الخشوع والذل وخض الطهر واجتماع القلب، فإن السكينة تنزل على العبد حالة إذ،،

هذه هي المواطن ..

كيف نحقق السكينة ؟

هذا هو أهم ما في الدرس، كيف نحققه ؟ .. استمعوا إلى هذا الأثر المهم الذي ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب **(العقل وفضله)** .. وأريد منكم التركيز لأنه يعطينا المعادلة، وأنا أحب الذي يعطينا المعادلة التراكمية (إذا عملنا كذا يتحقق كذا ، يتحقق كذا)، يقول: قال وهب ابن منبه : **"المؤمن مُفَكِّرٌ مُذَكَّرٌ ، فمن ذكَّرَ تفكَّرَ .."** إذاً، تابع معي .. ما هي البداية ؟

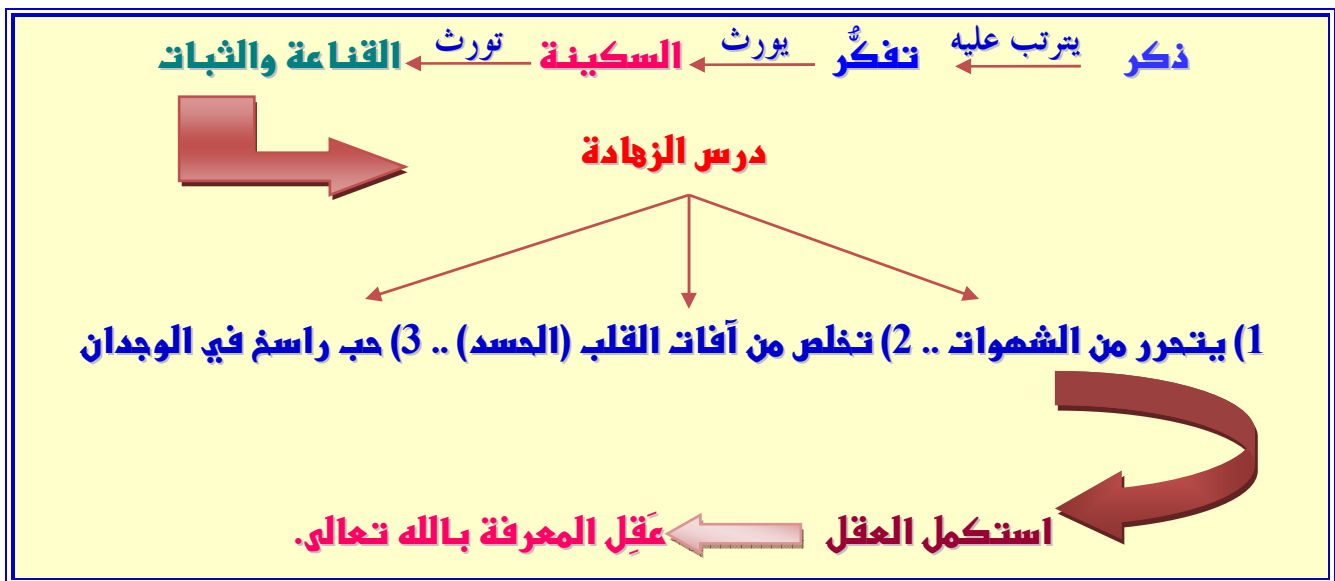
↔ الذِّكْرُ يزيل الغفلة ،

بعد ذلك ماذا يحدث ؟

↔ تفكّر،

"فعلته السكينة .."

فالسكينة تتحقق بعد التفكير ، **"وقع فلم يهتم"** .. تورث القناعة وتورث الثبات .. **"ورفض الشهوات فصار حراً، وألقى الحسد فظهرت له المحبة، وزهد في كل فان فاستكمل العقل، ورغب في كل شيء باقٍ فعقل المعرفة"**



إذاً ذكر يترتب عليه تفكُّر، التفكير ماذا يورث؟ السكينة .. يحدث له بعد ذلك القناعة .. فلا يعد يهتم بتلك الابتلاءات و لا بكلام الناس ولا بمشاغل الحياة فلم يعد يهتم .. ويقنع بما يعطيه الله إياه، فلما يقنع يتعلم درس الزهادة .. فأول شيء يرفض الشهوات فيتحرر، ولا يكون فيه الآن عبودية لا لمال ولا لنساء ولا جاه، و لا تعس عبد الدرهم و لا تعس عبد الخميصة و لا شيء من قبل هذا ، فيرفض الشهوات فيصير حراً و إذا تحرر القلب تخلص من آفاته ، و من أخطر آفاته الدفينة الحسد .. فيلقى الحسد فتظهر المحبة، وكأن المحبة في باطن القلب و عليها غلاف اسمه الحسد و النظر إلى الناس و الاهتمام بهم والدينيات .. و{.. أَهْؤُلَاءِ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ..} .. وهذه المعاني ، فإذا زال غلاف الحسد ظهر الحب الراسخ في الوجدان وفي الغريزة، فيزهد في كل فاني ، فبالتالي يستكمل العقل ، فيبقى هذا هو صاحب اللب و صاحب العقل الرزين ، فإذا رغب في كل شيء باقي، يعقل المعرفة بالله تبارك و تعالى.

و كأننا قلنا- سبحان الملك- نفس المعادلة التي كنا نقولها الآن : معرفة تؤدي إلى معرفة ، معرفة ستوصلنا إلى السكينة، المعرفة الأولى هذه ذكر وتفكر، ووصلنا في النهاية للمعرفة الأم التي نرجو الوصول لها::

معرفه الله تبارك و تعالى.

إذاً، أول سبب نتحقق به السكينة هو الذكر والفكر .. هذا الكلام الذي تناولناه هو الكلام

النظري ، كيف نحققه عملياً ؟

الكلام الذي ذكرناه توباً - ونحن نتحدث عن تكوين الحال - أول ما ذكرنا قلنا أيضاً، الذكر و الدعاء و التفكير في معاني الأسماء والصفات تحقق هذه المقامات ..

قلنا كيف ننفذها؟

{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}

[البقرة: 186]

استشعر القرب و استشعر المعاني ، انك تزيل حجب الغفلة وغيرها ، يلين لك قلبك و تتزل عليك السكينة.

المفتاح الثاني: مفتاح الانكسار والتواضع .. تكلف ذلك حتى يصير الإنسان هكذا، انظروا إلى هذا

الحديث -وربما يمر هكذا وليس مشهور، لكنه مهم لأنه في الصحيحين و اللفظ في البخاري- قال أبو هريرة سمعت رسول الله **صلى الله عليه وسلم** يقول : **"الفخر والخيلاء في الفدادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم، والإيمان يمان والحكمة يمانية"** [صحيح البخاري]

كلنا نحفظ آخر الحديث تقريباً، لكننا نقول طالما ذكر الفدادين و أهل الغنم إذن لا يخصني، لكن مغزاه يخصنا ..

ما هم الفدادين؟

الإمام النووي يقول: **"الفدادين بتشديد الدال جمع فداد، بدالين أولاهما مشددة، و هذا قول أهل الحدث واللغة" .. ما هو الفداد؟ .. "هو الصوت الشديد ، بمعنى أن تعلو أصواتهم في إبلهم وخيلهم وحروثهم" ..**

وعلي سبيل المثال: أنت تجلس في مزرعتك أو شقتك أو سيارتك الموديل كذا، ووجدت أحدهم يُضَيِّق عليك فيبدأ يعلو صوته وتقول له: أنت لا تعرف بكم هذه السيارة ؟ أنت لن تغرم ما سأغرمه أنا في قطع غيارها .. وكذا وكذا ، فأنت ترى نفسك في عز، عز السيارة وعز المسكن وعز المقام الذي أنت فيه، وكذا وكذا، لذلك قال: **الفخر و الخيلاء؛** لأن الكبر في الطبقات الارستقراطية موجود بكثرة - بدون أن نتأول و دون أن نحاول الدخول في الحديث يمينا ويساراً، ونقول لا .. أبداً هذا يتعامل بأسلوب جيد لأنه يفهم أن الكبر ... - ما زلت أردد أن الكبر ليس غمط الناس فقط، بل إن الكبر يمكن أن يكون في شخص اجتماعي جدا ويتحدث جيداً، ولا يضع أنفه في السماء ولا شيء من هذا ، بل إنه شخص عادي ويحبه الناس ..

لكن .. أين بطر الحق ؟ أين أنك تتكلف هذه المعاني ، فأين وأين وأين ... ، لا تجده يتحقق ، و تظل تشرح له أن هناك ما يسمى ضروريات و ما يسمى حاجيات و ما يسمى تحسينيات ، لماذا تشغل نفسك بهذه التحسينيات كلها وتتعب قلبك بسببها ولماذا ولماذا ولماذا ؟ .. تجده في النهاية يقول لك لا أستطيع ، كل من حولي هكذا ومن الصعب جدا أن أحقق هذا المعنى ، فتجده عنده الجزء الخاص به، والكل يقول نفس الكلام .. فمن غير استطراد فيها ..

الشاهد:: أن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال إن الفخر و الخيلاء هذه تؤدي إلى كبر .. **"الفخر والخيلاء في**

الفدادين أهل الدير .. فهذا هو، أما أهل الغنم .. فَتَصَوَّرْ أن أحدهم يركب سيارة بتعبيرنا -سيارة 127 أو متواضعة - هذا الذي هو من أهل الغنم ، هذا المسكين من أهل العشوائيات ، هذا الذي يفترض أنه تحت الصفر، السكينة تنزل على هذا، هذا هو الحل للموضوع كله.

فالسكينة في أهل الغنم ، وقالوا لأجل ذلك رعى النبي **صلى الله عليه وسلم** الغنم ..

قال **"وإنما خصَّ أهل الغنم بذلك؛ لأنهم غالبًا دون أهل الإبل في التوسعة والكثرة"** .. فليس عندهم فخر أو خيلاء، بل تتحقق عندهم معاني الانكسار و التواضع ، هذا هو..

تريد أة تنزل عليك السكينة ؟

السكينة في هؤلاء .. في أهل الغنم، أي:

في المتكسرين، في المتواضعين، فيمن لا يروى لهم وزناً ولا قيمة،

ولا هو يعتمد على مركز اجتماعي ولا على رصيد في بنك ولا على شقة في مكان محترم ولا على كذا وكذا .. إذا تحقق هذا المعنى .. إذا، تنزل السكينة.

السكينة تنزل ثالثاً ..

السبب الثالث: بجمع الشمل .. انظروا إلى هذا الحديث ، ربما تسمعه لأول مرة بهذا اللفظ، وسبحان الله في الصحيحين واللفظ لمسلم، قال النبي **صلى الله عليه وسلم** **"يَسْرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَسَكَنُوا وَلَا تُنْفَرُوا"** [صحيح مسلم]

ما معنى يسروا ؟ .. أي: اصرفوا وجوه الناس إلى الله في الرغبة إليه، و ردوهم في طلب الخوائج إلى الله .. معنى جميل وقفت عليه في أحد الشروح

قالوا عن معنى التيسير .. أي اجعلوا الناس تحب الله ، اجعلوا الناس عندما يكون لديهم أي حاجة لا يطلبونها إلا من الله، و ردوهم في جميع أحوالهم على الله فإن اليسر كله عند الله.

قال تعالى {..يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ..} [البقرة: 185] .. وقال {..مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ

مِنْ حَرَجٍ .. { [المائدة: 6].

و" لَا تُعَسِّرُوا " : أي لا تردوهم إلى المخلوقين في طلب الحوائج وقضائهم من عندهم، فإنهم محتاجون إلى مثل ما يُحتاج إليهم فيه .. هم أيضا محتاجين مثل الآخرين فكأنهم يتجاذبون شيئاً بينهم، هل سأذهب إلى من هو في الأصل محتاج ؟! .. فَيُعَسِّرُ عليكم وَيُعَسِّرُ الوصول لأنه في النهاية يوجد شيء ما لا أحد يستطيع أن يأخذه إلا من قبل الله تبارك وتعالى ، نفس الكلام الذي ذكرناه في بداية الدرس ، حين ذكرنا أن الخزائن كلها بيده سبحانه وتعالى.

"وَسَكَّنُوا" : تصديقاً لما ذكرنا بأن السكون هو الطمأنينة، والله عزَّ وجلَّ يقول {.. أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: 28] .. فلا يزال قلب المؤمن في اضطراب في نيل ما يرجوه، وكذلك ما يريده حتى يرد إلى الله .. فمعنى سَكَّنُوا: أي ردوهم إلى الله فيسكن اضطراب قلوبهم ضرورة واختياراً .. ضرورة أي لن تجد غيره ، و اختياراً أن تعلم أن هذا طريقك وليس لك غيره، سَكَّنُوا أي تسكين القلب.

و"وَلَا تُتَفَرَّوْا" : أي لا تفرقوهم في دلائلهم على غير الله، وردوهم إلى من سواه، فإذا فعلتم ستفرق بهم المذاهب وتختلف عليهم المسالك والطرق .. فحينئذ تحدث الفرقة وحينئذ يكون الشتات ..

فَالسَّكِينَةُ يَكُونُ بِجَمْعِ الشَّمْلِ، وَجَمْعُ الشَّمْلِ يَكُونُ بِأَن تَرُدُّوا النَّاسَ إِلَى اللَّهِ،،

انظروا إلى المعنى، عجيب عجيب بمعنى الكلمة .. وسبحان الله، نُسِيَتْ أَنْ أَذْكَرَ لَكُمْ الْمَرْجِعَ لِأَنِّي أَوَّلُ مَرَّةٍ أَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي التَّفْسِيرِ ..

عرفنا الآن ثلاثة أسباب أساس يتحقق بها معنى السكون ، عرفنا من خلال هذا الكلام كله أن:

(1) السكينة علامة رضا الله عن العبد .. كما نصّت على ذلك الآيات،

(2) والسكينة سمة العلماء وصفة الأولياء .. والمتشبه بهم إن شاء الله يكون في زمرةم ،

(3) والسكينة علامة اليقين وثقة المرء برب العالمين .. وهي فيها طاعة لله وتأسي برسول الله صلى الله

عليه وسلم،

- (4) والسكينة تثبت قلوب المؤمنين وتزيدهم ثقةً وإيماناً،
 - (5) والسكينة تؤدي إلى الرضا بما قسم الله عز وجل، وتمنع من الغلو والشطط.
 - (6) والسكينة عند معاملة الخلق تؤدي إلى اللطف في هذه المعاملة وتجلب المحبة وتشيع الألفة،
 - (7) والسكينة تثمر الخشوع وتجلب الطمأنينة وتلبس صاحبها ثوب الوقار،
 - (8) والسكينة تجعل صاحبها ينطق بالحكمة والصواب، وتحول بينه وبين اللغو والفحش وكل باطل،
 - (9) وأخيراً، السكينة من الأمور التي تُسَكِّنُ الخائف وتسلي الحزين والضَّـر .
- ولا تنسوا ما ذكرناه ابتداءً في فضائلها فهي:

(1) السكينة السمات الصالح

(2) السكينة لباس التقوى

(3) السكينة مغنم، هي غنيمة المؤمن الباردة

(4) السكينة هي اللطف الباطني

أسأله الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما جهلنا وأن يرزقنا هذا المقام العالي الغالي، وأن يرزقنا السكينة والوقار والطمأنينة ..

وأن يجمعنا وإياهم في ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله ..

فستدعرون ما أقوله لهم و أفوض أمري إلى الله ..

سبحانك اللهم ربنا وبصرك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وتوب إليك

اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فضيلة الشيخ / هاني حلمي